﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ [مريم: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تعويض الخليل عليه السلام عن فراق قومه بالذريّة الطيّبة

لـمَّا عزم الخليل عليه السلام على نشر شُقَّةِ النّوى مختارًا للغربة في البلاد على غربة الأضداد، حقّق ما عزم عليه؛ وحقّق ﷻ رجاءه ودعاءه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾: (عزل) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على تَنْحيَةٍ وإمالَةٍ، تَقولُ: عَزَلَ الإنْسانُ الشَّيْءَ يَعْزِلُهُ، إذا نَحَّاهُ في جانِبٍ، وهوَ بِمَعْزِلٍ وفي مَعْزِلٍ مِنْ أَصْحابِه، أَيْ في ناحيَةٍ عَنْهُم[2]، والاعْتِزالُ: تجنّب الشيء عمالة كانت أو براءة، أو غيرهما، بالبدن كان ذلك أو بالقلب، يقال: عَزَلْتُهُ، واعْتَزَلْتُهُ، وتَعَزَّلْتُهُ فاعْتَزَلَ، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: 16][3]، فيكون معنى ﴿ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ في الآية: تنحّى عنهم وفارقهم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه

لَمَّا اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه وآلهتهم الّتي يعبدونها من دون اللّه، وكان من ترك شيئًا للّه عوّضه اللّه خيرًا منه، وهبه اللّه من الولد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وجعلهما نبيَّين من المرسلين إلى الناس، الذين خصهم اللّه بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 209.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عزل).
(3) الراغب، المفردات: (عزل).
(4) الواحدي، البسيط: 14/ 260.
(5) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 494، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 308.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى مشروعيةِ الهجرة وبيانِ فضلها، وهجرةُ إبراهيم ﷺ هذه أول هجرة كانت في الأرض، وترشد إلى أنَّ مفارقةَ الإنسان لوطنه ومألفِه وأهلِه وقومِه، من أشق شيء على النَّفس؛ لأمور كثيرة منها: انفراده عمَّن يتعزَّز بهم ويتكثَّر[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في الآية:

الـــجـــزاء مـن جنس العمل

جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ استعمال حرف الفاء الدَّال على التعقيب، ومعنى ذلك أنّه لمَّا اعتزل أباه وقومه واستوحش بذلك الفراق وهبه الله ذرّيّة يأنس بهم؛ إذ وهبه إسحاق ابنه، ويعقوب ابن ابنه، وجعلهما نبيّين، وحسبه بهذه مكرمة له عند ربّه، ولعلّ ترتيب هِبَتِهما على اعتزاله ها هنا لبيان كمال عِظَم النِّعم الّتي أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء؛ فإنّهما شجرتا الأنبياء ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير، فما خسر على الله أحد، ومن ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرا منه[2].

بلاغة أسلوب الشرط في الآية:

ترتّبت الهبة عند وجود الشرط

ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ استعمال حرف الشرط (لمَّا)، وهو حرف وجود لوجود، أي يقتضي وجود جوابه لأجل وجود شرطه فتقتضي جملتين، والأكثر أن يكون وجود جوابها عند وجود شرطها، وقد تكون بينهما فترة فتدلّ على مجرّد الجزائية، أي: التعليل دون توقيت، وذلك كما في هذه الآية فقد ترتّبت الهبة (الجزاء) عند وجود الشرط (وهو اعتزال قومه)[3].

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 494، والجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 314.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 420.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 125.

دلالة العطف في قوله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾:

عطف الأصنام على حكم المفارقة والاعتزال

عطف في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الاسم الموصول ﴿وَمَا﴾ العائد على الأصنام المعبودة من دون الله على ضمير القوم للجمع بينهما في حكم الاعتزال والمفارقة، فإنّهم بعبادة الأصنام سلكوا طريقة الهلاك، فكان واجبًا عليه مجانبتهم[1]، وفي ذلك أيضًا الإشارة إلى عداوته ﷺ لتلك الأصنام إعلانًا بتغيير المنكر[2].

إيثار استعمال الاسم الموصول:

الإيماء إلى وجه اعتزال القوم وأصنامهم

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التعبير عن الأصنام بطريق الموصولية - ﴿وَمَا﴾ - من قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ للإيماء إلى وجه بناء الخبر وعلّة اعتزاله إيَّاهم وأصنامهم: وهو أنّ تلك الأصنام تُعْبَد من دون الله، وأنَّ القوم يعبدونها، فذلك وجه اعتزاله إيَّاهم وأصنامهم[3].

فائدة استعمال صيغة المضارع في الآية:

دوام المشركين على عبادة الأوثان

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التعبير بالفعل ﴿يَعْبُدُونَ﴾ بصيغة المضارع دون غيره من صيغ الأفعال؛ إشارة إلى استمرارهم في عبادة الأوثان والدّوام على ذلك، وذلك لأن استعمال الفعل بصيغة المضارع يفيد افتراض تكرر الحدث ودوامه واستمراره[4].

دلالة التقييد بـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

الإنكار على القوم عبادة آلهةٍ باطلة من دون الإله الحقّ سبحانه

ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التقييد بالجارّ والمجرور من قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ للإشعار بالإنكار

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 547.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 122.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 122.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 78.

عليهم عبادة آلهة باطلة من دون الإله الحقّ سبحانه، و﴿مِن﴾ هنا ابتدائية بمعنى أنهم مبتدئون من جانب غير جانب الله، فهم يعبدون آلهة مبتدئين إيَّاهم من ناحية غير الله؛ لأنّهم حين يعبدونهم قد شُغِلوا بعبادتهم، ففرطوا في عبادة الله المستحقّ للعبادة، وتجاوزوا حقّ إلهيّته في أحوال كثيرة وأوقات وفيرة[1].

موقع جملة ﴿وَهَبْنَا﴾ ودلالتها:

المواهب العظيمة لإبراهيم عليه السلام جزاء هجرته

تضمّن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ التعبير بجملة ﴿وَهَبۡنَا﴾ وهي جملة جواب الشّرط لفعل الشرط ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾؛ وذلك لأنّ أسلوب الشرط يقتضي وجود جوابه لأجل وجود شرطه[2]، فإنّ إبراهيم عليه السلام لمَّا اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم واختار الهجرة إلى ربّه إلى حيث أمره لم يضرّه ذلك دينًا ودنيا، بل نفعه فعوَّضه الوهَّاب أولادًا أنبياء، ولا حالة في الدّين والدّنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولًا إلى خلقه، ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة، فصار جعله تعالى إيَّاهم أنبياء من أعظم النِّعم على آل إبراهيم في الدنيا والآخرة[3]، وكلّ من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه.

إيجاز القِصَر في الآية:

حذف المعلوم من الكلام بدلالة السياق

تضمّن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ فنًّا من فنون البلاغة يسمّى إيجاز القِصَر، إذ طوى النظم القرآنيّ ذكر اعتزاله إيَّاهم بعد أن ذكر عزمه عليه إيجازًا في الكلام؛ للعلم بأنّ مثله لا يعزم أمرًا إلا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 186.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 125.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 547.

نفّذ عزمه، واكتفاء بذكر ما ترتّب عليه من جعل عزمه حدثًا واقعًا قد حصل جزاؤه عليه من ربّه[1].

نكتة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة:

عظمة الواهب سبحانه في هباته الكريمة

أُسْنِدَ في قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فعل الهبة ﴿وَهَبْنَا﴾ إلى ضمير (نا)؛ للدّلالة على عظمة الواهب سبحانه؛ لتعدّد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة، فإنّ مثل هذا التّعبير يعبّر به الملوك والعظماء النافذ أمرهم ونهيهم، فالعظيم عظيم في جميع أفعاله من الهبات وغيرها.

دلالة تقديم الجار والمجرور على المفعول الأول:

اختصاص الوهّاب نبيَّه الكريم بالهبة العظيمة

تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الجارّ والمجرور ﴿لَهُۥٓ﴾ على المفعول؛ لنكتة بلاغية وهي الاختصاص، بمعنى أنّ الله الوهّاب اختصّ إبراهيم عليه السلام بهبة عظيمة إذ وهبه إسحاق ابنه، ويعقوب ابن ابنه، وجعلهما نبيّين، وحسبه بهذه مكرمة له عند ربّه[2]، فإنّهما شجرتا الأنبياء، ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير، وذوو عدد كثير.

نكتة عدم ذكر إسماعيل عليه السلام:

شمول الهبة لإبراهيم عليه السلام وزوجه سارة

اقتُصِرَ في قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل عليه السلام، فلم يقل: (وهبنا له إسماعيل وإسحاق ويعقوب)؛ لأنَّ إبراهيم لمَّا اعتزل قومه في العراق خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد اعتزلت قومها معه أيضًا إرضاء لربّها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشّاملة للزوجين الكريمين: إبراهيم وسارة، وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب، ولأنّ هذه الموهبة لما كانت مكافأة لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه كانت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 123.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 123.

موهبة أيضًا لمن يعاشر إبراهيم، ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب، أمَّا إسماعيل فقد أراد الله أن يكون بعيدًا عن إبراهيم في مكَّة ليكون جارَ بيت الله، وإنَّه لجوار أعظم من جوار إسحاق ويعقوب أباهما[1].

معنى الواو في قوله ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا﴾:

جمع إبراهيم عليه السلام بين الذرّية واصطفائهم للنبوّة

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ على جملة ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بالواو الدَّالة على الجمع والاقتران؛ فقد جمع الله الوهَّاب لإبراهيم عليه السلام فضلًا عظيمًا بأن وهبه ذرّية وأحفادًا على كِبَرٍ، فقد وُلد يعقوب قبل موت إبراهيم بخمس عشرة سنة، ومِن يعقوب نشأت أمّة عظيمة، ثمّ عَطَفَ على هذه النّعمة نعمة أخرى بأن جعلهم أنبياء، ولا حالة في الدّين والدّنيا للبشر أرفع من أن يجعله الله رسولًا إلى خلقه، ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة، فصار جعله تعالى من أنفسهم أنبياء من أعظم النعم في الدّنيا والآخرة[2].

وجه إعراب ﴿وَكُلًّا﴾ ودلالة تقديمها على العامل:

شمول اصطفاء النبوّة لإبراهيم وذرّيّته

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ استعمال لفظ ﴿وَكُلًّا﴾، ومعناه كلُّ واحد من إسحاق ويعقوب، أو منهما ومن إبراهيم عليه السلام، وهو مفعول أول لقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، قُدِّمَ عليه للتّخصيص، لكن لا بالنسبة إلى من عداهم، بل بالنسبة إلى بعضهم، أي: كلُّ واحد منهم جَعَلْنا نَبيًّا لا بعضهم دون بعض، ولا يظهر في هذا الترتيب على الوجه الثاني في ﴿وَكُلًّا﴾ كون إبراهيم عليه السلام نبيًّا قبل الاعتزال[3].

بلاغةُ الإيجاز بالحذف في ﴿وَكُلًّا﴾:

يظهر في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ الإيجاز بالحذف في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 124.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 547.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 420.

﴿وَكُلًّا﴾، إذ المقصود: كلُّ واحد من إسحاق ويعقوب، أو منهما ومن إبراهيم عليهم السلام[1]، ويسمَّى هذا التنوين بتنوين العِوَض، وهو عِوَض عن جملة؛ وفق التقدير المتقدِّم.

دلالة الفعل ﴿جَعَلْنَا﴾ في الآية:

اصطفاء بعض البشر لتبليغ وحي السّماء

ورد في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ التعبير بالفعل ﴿جَعَلْنَا﴾، وهو لفظ عامّ في الأفعال كلّها، وهو أعمّ من فعَل وصَنَع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجه حسب السّياق الّذي يرد فيه، وهو في هذه الآية بمعنى الحكم بالشّيء على الشَّيء بالحقّ[2]، ولعلّ الظاهر أنّ الجعل هنا بمعنى التّصيير، وهو تصيير خلق على صفة مخصوصة، أو تصيير مخلوق إلى صفة بعد أن كان في صفة أخرى[3]، فقد صيّر الله بشرًا اختارهم أنبياء إلى عباده بالوحي.

اختلاف القراءات في كلمة ﴿نَبِيًّا﴾ وتوجيهها:

تنوع القراءة وأثره في بلاغة الآية

تنوّعت القراءات في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، فقد قرأ نافع هذا اللفظ ﴿نَبِيًّا﴾، وما جاء منه (النبيّون، والنبيّين، والأنبياء، والنبوّة) حيث وقع في القرآن بالهمز: ﴿نَبِيٓـًٔا﴾، وقرأ الباقون بغير همز[4]، فالحجّة لمن همز أنّه أخذه من قوله: (أَنْبَأَ بِالحَقِّ) إذا أخبَرَ به، ومنه: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: 31]، والحجّة لمن ترك الهمز من ثلاثة أوجه؛ أولها: أن الهمز مستثقل في كلامهم، والثاني: أنّه مأخوذ من النَّبْوَةِ وهي: ما ارتفع من الأرض وعلا؛ لأنّه أخبر عن العالم العلوي، وأتى به عن الله تعالى، والثّالث: أنَّ العرب تدع الهمزة من (النّبي) وهو من: أنبأت، ومن (الخابية) وهي من خبّأت، ومن

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 8/ 420.
(2) الراغب، المفردات: (جعل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - أ/ 47.
(4) ابن الجزري، النشر: 01/ 406.

(البريّة) وهي من برأ اللّه الخلق، ومن (الذّريّة) وهي من ذرأهم، ومن (الرّويّة): وهي من: روّأت في الأمر[1].

وعلى كلا الاشتقاقين من النُّبوِّ بمعنى الارتفاع والسمو، أو من النَّبَأِ، وهو الخبر الصادق ذو الشأن العظيم، يمكن الأخذ بهما جميعًا في آن واحد، وإن كان الاشتقاق الثاني جديرًا بالعناية لسَعة دلالته، وبالنظر في النصوص القرآنية، سنلاحظ أنَّ جميع دلالات هذين الاشتقاقين قد اعتمدت فيها بصورة واضحة.

فاشتقاق كلمة (نبيّ) من النُّبوِّ، يدل على اكتساب مقام النبوة الرفيع، الأمر الذي جعل صاحب هذا المقام يستحق عند بارئه لقب نبي.

وأما اشتقاق كلمة (نبيّ) من النَّبَأِ، فيعني الخبر الصادق ذا الشأن العظيم، فكلمة (نبيّ) من هذا المصدر تشير إلى العلوم اللدنية، والأنباء الهامة ذات الشأن العظيم التي يتلقاها الشخص الذي يبلغ مقام النبوة العلي.

(1) ابن خالويه، الحجة، ص: 80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»